

التركيب المزجي في العربية المعاصرة

رفعت هزيم

رئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة تعز - اليمن

ملخص البحث

عرفت العربية قديماً التركيب المزجي في أسماء الأعلام وبعض الأعداد والظروف والأحوال، ولكن أثره في توليد الألفاظ فيها ظل ضئيلاً جداً. أما في العصر الحديث فإن العربية تواجه سيلاً لا ينقطع من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية والفنية التي تصوغها لغات العالم الكبرى وبخاصة الإنجليزية فتختار ترجمتها تارة، أو تعريبها تارة أخرى، وقد تجد لها مقابلاً عربياً.

وقد تأثرت العربية المعاصرة بأساليب التعبير في اللغات الأجنبية، ومنها أسلوب الـ Compounding الذي يقابل فيها التركيب المزجي، فظهرت أنماط منه استعملها المترجمون والباحثون، فذاع بعضها وانتشر؛ وبعضها الآخر لم تستسغه الألسنة ولم تتقبله الأسماع. ولكن هذا الضرب - خاصة ما كان منه مركباً مع لا النافية - غدا طريقة فعالة في توليد الألفاظ تُضاف إلى الطرائق الأخرى المعروفة كالاشتقاق والمجاز والقياس والتعريب والنحت وسواها.

التركيب المزجي في اللغة العربية المعاصرة

ظاهرة التركيب المزجي معروفة في لغات الغرب الكبرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها؛ ويزداد شيوعها اليوم للحاجة إليها في صياغة المصطلحات العلمية والفنية، وكذلك في التعبير عن شؤون الحياة في مجالاتها المختلفة.

ويُعرّف المركب المزجي Compound Word بأنه 'وحدة لغوية تؤلفها عناصر يجوز لكل منها أن يستعمل مستقلاً'^(١)، ولكن الآراء تختلف في تحديد هذه

(١) Crystal, pp. 90, 417.

الأجزاء المكونة للفظ الجديد المركب، فهي عند بعضهم "كلمات Words"، وعند آخرين "جذور Roots"، وعند فريق ثالث "أصول Stems"، وعند فريق رابع "وحدات صرفية، أي مورفيمات Morphemes"، مما جعل بعضهم يقول إنها "عناصر Elements"، فحسب^(١).

ويرى الباحثون أن هذا الضرب من الكلام ينقسم في الإنجليزية قسمين: قسم داخلي المركز: Endocentric يكون فيه المركب Centre الذي يُسمى هنا رأساً نحوياً Grammatical head وهذا القسم فرعان؛ أحدهما: تابع Subordinate وهو يضم مركزاً واحداً، نحو: Garden Party حفلة في حديقة؛ والمركز هنا هو Party، والآخر: متكافئ Coordinate وهو يضم مركزين، نحو Hose pipe أنبوب؛ وقسم خارجي المركز Exocentric وهو ما كان رأسه أو مركزه خارجه، نحو: Pickpocket نشال^(٢).

ولقد لاحظ هؤلاء أن الشبه بين المركب المزجي وضروب أخرى من التركيب ربما أدى إلى تداخلها، فوضعوا ضوابط لتمييزه من غيره؛ فهو يخالف المركب بالزوائد Affixation^(٣) من حيث تصريفه واشتقاقه - بعدم استخدامه الزوائد الصرفية Affixes من سوابق Prefixes نحو: Unhappy ولواحق Suffixes، نحو: "Unkindness فظاظة"، ويخالف النحت Blend في أن عناصره لا يلحقها حذف أو اختصار؛ نحو: Brunch من ("Breakfast: فطور + Lunch: غداء)، ويخالف المركب التتابعي Free collocation؛ نحو: "Gold watch ساعة ذهبية" في مسألتين متصلان بالدلالة والتركيب النحوي؛ فأما من حيث الدلالة فإن التركيب المزجي Bedroom غرفة نوم لا يعني غرفةً ما تشتمل على سرير، بل يعني

(١) Crystal, p. 417. وانظر: Allerton & French, p.119.

(٢) Emery, p. 36.

(٣) Crystal, p. 90.

غرفةً مخصصة من حيث تصميمها وأثاثها للنوم؛ أي أن الدلالة الجديدة تختلف عن دلالات العناصر التي يتركب اللفظ الجديد منها؛ وأما من حيث التركيب النحوي فلا يمكن وصف العنصر الأول منه مستقلاً عن العنصر الثاني، فلا يصح أن يقال four A bedroom poster "وصفاً لـ bed وحدها، في حين يستطيع المرء وصف العنصر الأول في المركب كأن يقال: watch gold carat 24 a. (١)

وتورد بعض المعجمات اللغوية ما يزيد عن عشرة أنواع للتركيب المزجي في الإنجليزية؛ وهي: المركب النحوي Compound Syntactic نحو: Low Father-in حمو الزوج أو الزوجة؛ وغير النحوي Asyntactic نحو: worm-eaten متسوس؛ والتحديدية Determinative نحو Football كرة القدم؛ والتوليفي Synthetic نحو: Microscope مجهر؛ والملكي Possessive نحو: Black-board سبورة؛ والمتكافئ Copulative نحو: Bittersweet حلوة مرّة؛ والتوكيدي Intensive نحو: Stone-deaf أصمّ تماماً؛ والتجاوري Juxtaposed نحو: School Night مدرسة ليلة؛ والسياقي Stem نحو Classroom قاعة التدريس؛ والأولي Primary نحو Picjpojet نشال؛ والعباري Phrasal نحو: Home-work واجب مدرسي منزلي؛ والاشتقائي Derivational نحو: Kind-hearted رقيق الفؤاد. وأضيف إلى هذا كله أنواع أخرى كالمركب الحشوي Tautological com والثانوي Secondary والدخيل Loan دون أمثلة موضحة لها (٢).

ويبحث المستشرقون عما يناظر هذا الضرب في العربية فقابله بروكلمان بالتركيب

(١) Cannon, p. 749, Emery, p. 33-34.

(٢) انظرها جميعها مع تعريفاتها وأمثلتها في: معجم علم اللغة النظري للخولي. ويلاحظ أن بعض الأنواع لها - عنده - تسميات متعددة. ولكنه أورد نوعاً سماه التكراري Iterative ومثل له بـ: bye-bye وهو ليس من هذا الضرب.

الإضافي، ومثّل له بنمطين من أبنية الجموع؛ أحدهما: الجمع الذي يتضمن علامة جمع واحدة للفظ المركّب، نحو: رَسْمال، ورساميل؛ والآخر: الجمع الذي يضم علامة جمع لكلا العنصرين المكوّنين للفظ؛ نحو: يوم الجمعة وأيام الجُمع. وأضاف إليه التركيب المصدرّ بـ "لا" في حين أخرج منه التركيب المصدرّ بـ "غير". ومثّل له فير Wehr بالتركيب الوصفي "قائدٌ عامٌ" والتركيب الإضافي "فرقةٌ مطافيٌّ"؛ لأنه لا يمكن الفصل - من حيث التركيب النحوي - بين العنصرين في كليهما. ورأى بيلافسكي Bielawski أن النمط الرئيس لتوليد المركّب في العربية هو التراكيب المنفية سواء أكانت اسميةً؛ نحو: لا وجود؛ أم وصفيةً، نحو: غيرٌ ماديٌّ، ويشمل ذلك عنده التركيب الإضافي الذي يكون فيه المضاف هو كلمة "عدم" نحو: "عدمُ الانحياز"؛ وكذلك المصطلحات العلمية المؤلّفة من عنصرين نحو: فاعليةُ الأشعة، وآلةٌ جهنميةٌ؛ أو من ثلاثة عناصر، نحو: معالجةُ بالإلقاح، وذَهَبَ إمري Emery إلى أن التقسيم الثنائي إلى مركّب ذي مركز داخلي Endocentric وذي مركز خارجي Exocentric صالح للتطبيق في اللغة العربية أيضاً، فجعل ذا المركز الداخلي أربعة أضرب: أحدها أن يكون من باب الإضافة، وهو - عنده - ثلاثة أنماط؛ أولها: أن يكون المضاف هو نفسه المضاف إليه، نحو: طائرة هلكوبتر؛ وثانيها: أن يكون المضاف بعض المضاف إليه، نحو: رأسُ السهم؛ وثالثهما: أن يشتمل المضاف على المضاف إليه، نحو: دفتر شيكات. أما الضرب الثاني منه فهو غير إضافي، إذ يكون فيه العنصر الثاني صفةً للأول، نحو: سفينةٌ بخاريةٌ. وأما الضرب الثالث فهو من باب الإضافة التي تكون بمعنى حروف الجر، وأمثلتها - عنده - هي: صانعُ الأحذية، و: حلم اليقظة، و: نقطة التشيع. وأما الضرب الرابع فيعرّفه بأنه ماتجاور فيه اسمان ذوا قيمة متساوية، نحو: صاروخ أرض - أرض. ثم ذكر أن المركّب ذا المركز الخارجي داخلٌ كذلك

في باب الإضافة، ومثل له بنحو: ابن آوى، دون أن يذكر له أمثلة من العربية المعاصرة لأنه - كما قال - لا يرد فيها^(١).

ويتضح مما عرضناه أن آراء الباحثين ومذاهبهم في كلا المسارين تحتاج إلى مزيد من التوضيح والتدقيق لجلاء مافيها - أحياناً - من غموض واضطراب، ذلك أن الضوابط التي ذكروها لتمييز التركيب المزجي Compounding من الأضرب المشابهة له في اللغات الهندية الأوربية تدل على أنه ليس من باب الإضافة Status constructus فيها، فهو يخالف الإضافة في أنه يتكون بالضم Fused، نحو: Bedroom، أو بالتجاور: Juxtaposed، نحو: No-man's-land، ولذا فإن المركب الجديد لايشكل وحدة دلالية مستقلة فحسب، بل وحدة صرفية ونحوية مستقلة كذلك، ويظهر هذا بوضوح في اللغات المعربة كالألمانية مثلاً حيث تكون الغلبة من حيث الجنس والإعراب للعنصر الثاني في المركب أو للعنصر الأخير فيه إذا كان ثلاثي العناصر، فإذا ورد مرفوعاً استعملت معه أدوات التعريف تبعاً لجنس ذلك العنصر وهي: der للمذكر، و: die للمؤنث، و: das للمحايد؛ نحو: der Schriftsteller الكاتب الأديب، و: die Schriftsprache اللغة الفصحى، و: das Schriftzeichen الحرف، و: der Schriftstellerverband اتحاد الكتاب على الترتيب. وإذا ورد منصوباً أو مجروراً بحرف الجر استعملت معه صيغ النصب والجر من هذه الأدوات، وإذا وقع مضافاً إليه فإن أداة الإضافة الخاصة بجنس العنصر المذكور هي المستعملة، وهكذا الحال في سائر الأحوال الإعرابية^(٢).

أما القول إنَّ النمط الأساسي لتوليد التراكيب في العربية - قديماً وحديثاً - هو

(١) Emery, p. 33 ff

(٢) رأيت الاستغناء عن إيراد الأمثلة على الأحوال الإعرابية لوضوحها لمن يعرف الألمانية، وأحسب أن ما أوردته كافٍ لإيضاح المراد.

التركيب الإضافي فقول صحيح، غير أن الادعاء أنه يقابل الـ Compounding أو يساويه هو ادعاء بغير دليل. وأغلب الظن أن القائلين بذلك بنوا مذهبهم هذا على شيوع التركيب الإضافي في العربية ثم على استعماله في ترجمة بعض أمثلة هذا الضرب من اللغات الأجنبية، ذلك أنه لا يشترط أن يقابل اللفظ المركب - أي كان نوعه - في تلك اللغات بلفظ مركب في العربية، إذ سلكت الفصحى المعاصرة في هذا الباب المسلك نفسه الذي اتبعته مع سائر الأضرب اللغوية التي تصاغ بها ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم والآداب والفنون، وهو لا يكاد يتجاوز - فيما أعلم - ثلاث وسائل: فإما أن تتجنب استعماله بأن تجد له مقابلاً فيها، نحو: السيارة - Au- tomobil، و: الهاتف Telephone، و: الغواصة Submarine؛ وإما أن تعربه بنقله كما هو، نحو: التلفزيون والميكروفون والفلكور؛ فتستعمله كما استعملت معظم الدخيل في العصور المختلفة من قبل ليغدو فيها - خلافاً لما هو عليه في لغته المنقول عنها - لفظاً مفرداً غير مركب، وإما أن تترجمه بعناصره ترجمة يغلب أن تكون قريبة من الأصل. فإذا جاءت الترجمة بصيغة لفظ مركب تركيباً مزجياً فهو - وحده - مدار البحث هنا؛ لأنه - عندئذ - يقابل الـ Compound word، وينبغي أن يكون مؤلفاً بضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلهما اسماً واحداً إعراباً وبناء، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين^(١).

وقد عرفت العربية التركيب المزجي - قديماً - في أسماء الأشخاص والمواقع، نحو: معد يكرب وسيبويه وحضرموت وبعلبك^(٢)، وكذلك في طائفة من ألفاظ

(١) هكذا عرف مجمع اللغة العربية بالقاهرة المركب المزجي، انظر المصطلحات العلمية للشهابي ص ٢٠٥.

(٢) لا يخفى أن للتركيب المزجي ضرباً أخرى في العربية كالأعداد المركبة وظروف الزمان والمكان المركبة

الدخيل، نحو: البابوج والجلنار والروزنامة والإصطرباب^(١)، كما عرفت العربية المعاصرة منه أنواعاً، وأهمها ثلاثة:

١ - ألفاظ عربية محوّلة - غالباً - عن التركيب الإضافي، نحو: الماورد (ماء الورد) والمآزهر (ماء الزهر) والعرقسوس (عرق السوس) والرّسمال (رأس المال). فهذا وما يشبهه من صيغ العامية التي يكره استعمالها في اللغة الفصيحة^(٢).

٢ - ألفاظ دخلت العربية في العهد العثماني، ومعظمها مصطلحات عسكرية وإدارية، فمنها المركّب التركي أو الفارسي؛ نحو: السردار (قائد الجيش)، واليوزباشي (ضابط برتبة النقيب)؛ ومنها المركب من العربية والتركية أو الفارسية، نحو: الباشكاتب (رئيس الكتبة)، والأميرالاي (قائد اللواء أو الفرقة)، والأجزخانة (الصيدلية)؛ ومنها المركب من لفظتين عربيّتين؛ نحو: القائمقام والعرضحال. وهذه وأمثالها مهجورة اليوم بعد أن حلّ محلّها ألفاظ توافق - غالباً - قواعد اللغة والنحو^(٣).

٣ - مركبات مولّدة تولّدها الترجمة، وهي ثلاثة أتماط:

أحدها: المركب المزجي المماثل للنمط الذي عرفته العربية قديماً، وهو نادر في

(١) هي في لغاتها الأصلية مركبة، ولكنها استعملت في العربية استعمال غير المركب.

(٢) ذكر فك أن لفظ "رأسمال" ورد في شعر ابن الحجاج المتوفى سنة ٣٩١ هـ، ورأى أنه مأخوذ من لهجة بغداد الدارجة آنذاك، انظر: العربية ص ١٩١ وهذا يعني أن تحوّل التركيب الإضافي إلى تركيب مزجي كان معروفاً في القرن الرابع الهجري. ويلاحظ أن صيغة الجمع "رساميل" المستعملة اليوم تخالف الاستعمال الفصيح كقوله تعالى: ﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾ (البقرة: ٢٧٩/٢).

(٣) مازال القليل منها مستعملاً في العامية أو الفصحى أو فيهما، نحو: الشيش طاووق والششبرك (من الأطعمة)، والأكي دنيا (المشمس الهندي)، والشمعدان والطرپوش والكشتبان والبشكير والسفراطس. وقد حلّت ألفاظ "العريضة" محل "العرضحال" والمحافظ أو المتصرف محل "القائمقام" إذا كان منصباً إدارياً و "العقيد" إذا دل على رتبة عسكرية.

عربية اليوم، ولعل أشهر أمثله لفظ البرمائيات^(١) Amphibia اسماً للحيوانات القادرة على العيش في الماء وعلى اليابسة ، أو صفةً لما أعدّ للاستعمال في البر وفي الماء، نحو: دبابه برمائية، ولفظ اليانصيب Lottery^(٢).

وثانيها: المركب التجاوري الذي يتجاور فيه اسمان بينهما شرطة dash، نحو: صاروخ أرض - أرض، أو أرض - جو . ولم يخطئ من وصفه بأنه غريب عن العربية^(٣)؛ لأنه لا يوافق أساليبها ولا قواعدها، ولا أدري كيف يكون إعرابه؟ ولو تُرجم كما هو في الإنجليزية Surface- to surface / air missile لكانت ترجمته الصحيحة: صاروخ من الأرض إلى الأرض / إلى الجو، فيتخلص بذلك من العجمة الظاهرة في الاستعمال الشائع . وشبيه بهذا في بعده عن الفصحى قولهم: الأفروآسيوي Afro-Asian والهندي أوربي Indo European، وللعودة بهذا الأسلوب وما شابهه إلى العربية الفصحى سبيلان: أحدهما هو الترجمة، فيقال: الأفريقي الآسيوي، و: الهندي الأوروبي؛ والآخر هو التّحت فيقال: الأفرسيّ و: الهندوروبي بشرط وضوح الأصل المنقول عنه وتقبل الناطقين بالعربية له .

ولعل من هذا النمط بعض المصطلحات التي يترجمها بعض الباحثين ترجمةً حرفيةً، ومنها ما يخص الأصوات اللغوية، نحو: بين أسناني inter-dental، و: وسط حنكيّ mid-palatal وأقصى حنكيّ^(٤) post-palatal ولكنها وأضرابها لم

(١) وضع له مجمع القاهرة لفظ "القواذب" ومفرده "القازب" ولكنه لم يرد في المعجم الوسيط كما أن هذه الدلالة لم ترد في لسان العرب.

(٢) لم يرد لفظ "اليانصيب" في المعجم الوسيط، وربما كان العنصر الأول فيه حرف النداء.

(٣) Emery, p.38، وهو عنده - من القسم ذي المركز الداخلي المتكافئ Endocentric coordinated

(٤) كما فعل شاهين في ترجمة كتاب، العربية الفصحى لفيلسوف ص ١٧ . ويلاحظ أن معظم اللغويين نأوا بأنفسهم عن هذا الأسلوب الأعجمي فقالوا: أصوات ما بين الأسنان وأصوات وسط الحنك وأصوات أقصى الحنك، وهلمّ جرّاً، انظر الأصوات اللغوية لانيس ص ٢٧٦، وعلم اللغة العام لبشر ص ١٣٦ .

تلق قبولاً، وما زالت حتى الآن حبيسة المؤلفات التي وردت فيها.
وثالثها - وهو أكثرها شيوعاً - اللفظ المركب مع "لا" النافية؛ نحو: اللأدرية
واللاضرورة واللانهاية، وما جاء على شاكلتها من مصطلحات أهل المنطق والفلسفة.
ويرى بعض الباحثين أنه تركيب أعجمي اقتبسته العربية من اليونانية^(١)
والمعروف أن اللغات الهندية الأوروبية - كالإنجليزية - تستعمل السابقة اليونانية
الدالة على النفي (a) في صوغ الألفاظ؛ نحو: amoral اللأخلاقي و: asocial
لا اجتماعي، وتُكتب an إذا تلاها حرف صوتي؛ نحو: an hydride لا مائي^(٢).
على أن الأمثلة الشائعة اليوم في العربية تتجاوز ذلك إلى الألفاظ المركبة مع سوابق
أخرى ذات دلالة مماثلة في تلك اللغات ومنها: anti نحو: anti-semitism
اللاسامية، و un نحو: unreligious اللاديني، و unconsciousness اللاوعي،
و non نحو: nonviolence اللاعنف، و nonmetallic اللامعدني و in نحو:
inorganic اللاعضوي، وتتحول in هذه إلى im إذا تلاها m نحو: immateri-
اللامادي، وإلى il إذا تلاها L نحو: illegal اللاشرعي، و illogical
اللامنطقي، وإلى ir إذا تلاها r نحو: irresponsible اللامسؤول^(٣).

أما الصيغ التي ترد في بعض المعجمات ثنائية اللغة، نحو: كهريماي hydo
electric، و: سمعيبصري audio-visual، و: مركزيبشري anthropocentric

(١) اللغة العربية لزيدان ص ٨٦، وذكر فير شواهد له يرجع بعضها إلى القرن السادس الهجري، نحو:

اللاشيء، واللاثبوت، واللالهية. انظر Wehr, p.37.

(٢) يجعل بعضهم هذا النمط من النحت. انظر آراء وأحاديث للحصري، ص ١٤٢-١٤٤، والعربية
الفصحى لستكيفتش ص ١٠٩، ودراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ص ٣٢٥، والمصطلحات
العلمية للجبوري ص ٦.

(٣) انظر أمثلة مما صاغه الأدباء المعاصرون من هذا النمط في العربية الفصحى لستكيفتش ص ١١٢-١١٣.

ويعدها بعض الباحثين من المركب المزجي^(١) فليست - فيما أرى - من هذا الباب؛ لأن المزج هنا شكلي محض لا يتجاوز الرسم الكتابي ولا يحول العنصرين في كل صيغة إلى وحدة واحدة على النحو الذي وجدناه في النمط الأول من هذا الضرب.

وثمة موقفان متعارضان من استعمال التركيب المزجي والنحت في العربية المعاصرة، فالكثرة من المترجمين وواضعي المعجمات ترى أن آلاف الألفاظ والمصطلحات التي تصنعها آلة الحضارة الغربية تجعلنا مضطرين إلى استعمال هذين الضربين، وكذلك إلى التعريب، وتقول: إن العربية ستهضم هذا كله كما فعلت من قبل. واللغويون الحريصون على صفاء العربية وعروبته يذهبون إلى أن ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدلّ على المعنى من لفظ منحوت أو معرّب أو مركّب تركيباً مزجياً يمجّه الذوق ويستغلق فيه المعنى، ويمثلون لذلك ببعض المصطلحات في تصنيف فصائل الحيوانات والحشرات كقولهم: بطنقدميات و: رأستقدميات وشوجنيات ومسجناميات وعصجناحيات، فيصفون هذا ونحوه بالقبح ويفضّلون أن يقال فيها: بطنيات الأقدام، ورأسيات الأقدام، وشائكات الزعانف، ومستقيمات الأجنحة، وعصبيات الأجنحة^(٢).

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فأجاز صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية، ولكنه اشترط أن يكون ذلك عند الضرورة فحسب.

فإذا أردنا الاحتكام في استعمال المركب المزجي في العربية المعاصرة إلى الاستعمال اللغوي لا إلى قرارات المجامع اللغوية ومذاهب المؤيدين والمعارضين أو

(١) Emery. P 39، وقد يحذفون الحرف الأخير من العنصر الأول كقولهم: صوت بيأسناني. والأشعة الدوّحمرء، وقبتاريخي فيكون عندئذ من باب النّحت.

(٢) المصطلحات العلمية للشهابي ص ١٨ ، ٩٨ ، ودراسات في فقه اللغة للصالح ص ٣٢٤، ويجعل الصالح تركيب شائكات الزعانف ونحوه من المركب المزجي، ومن الواضح أنه تركيب إضافي.

إلى ما تذكره المعجمات متخصصة أو غير متخصصة فقد تبين لنا من هذا العرض الموجز أن المركب مع "لا" النافية هو النمط الوحيد الذي تقبله العربية واستساغته الناطقون بها، فهو يستعمل فيها اسماً، نحو: اللامركزية واللامسامية واللامبالاة واللامعقول واللاوعي واللاشعور واللاسلم واللاحرب؛ أو صفةً، نحو: النظام المركزي و الاتصالات اللاسلكية والاتجاه اللاديني والتصرف اللاشعوري والعمل اللا أخلاقي؛ وغير ذلك، نحو: فعل فلان كذا لا شعورياً أو لا إرادياً^(١). ويشبه الاستعمال الوصفي هنا ماورد في القرآن الكريم غير مرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة: ٦٨/٢)، و: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ (البقرة: ٧١/٢)، و: ﴿ظَلٌّ مِّنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ (الواقعة ٤٣/٥٦-٤٤)، و: ﴿فَاكِهِةٌ كَثِيرَةٌ لَّامَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٣٢-٣٣/٥٦)، و: ﴿مِن شَجَرَةٍ مَّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور ٢٤/٣٥).

وقد استنتج النحاة من هذه الشواهد وجوب تكرار لا النافية إذا دخلت على مفرد خبراً أو صفةً أو حالاً، فذكر سيوييه أنه "قبيح أن تقول: مرت برجل لا فارس حتى تقول: لا فارس ولا شجاع، ومثل ذلك: هذا زيدٌ لا فارساً؛ لا يحسن حتى تقول: لا فارساً ولا شجاعاً"^(٢) غير أن ابن منظور نقل عن الأصمعي خطأً آخر لا تُكرر فيه اللام، قال: "إذا قال لك الرجل: ما أردت؟ قلت: لا شيئاً، وإذا قال لك: لم فعلت ذلك؟ قلت: للاشيء، وإن قال: ما أمرك؟ قلت: لا شيئاً، تنوّن فيهن كلهن"^(٣). وأورد ابن هشام مثالين آخرين لـ (لا) النافية غير

(١) وقد يستعمل اسم آلة، نحو: اللاسلكي، وهو مختصر من: الهاتف اللاسلكي wireless telephone.

ولعل ذلك من تأثير الترجمة لأن كلمة wireless وحدها تستعمل في الإنجليزية البريطانية كذلك.

(٢) سيوييه ٣٠٥/٢، ومغني اللبيب ١/٢٦٨ و ٢/٤٢٠. وقد مثل ابن هشام للخبر بقولهم: زيد لا شاعرٌ ولا كاتبٌ. وانظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبري ١/٢٥-٢٦.

(٣) لسان العرب: شيئاً.

المكررة المسبوقة بحرف جرّ هما: جئتُ بلا زاد، وغضبت من لاشيءٍ، جاعلاً "لا" فيهما نافيةً معترضةً بين الخافض والمخفوض^(١).

وقد ناقش مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه الظاهرة اللغوية في العربية قديماً وحديثاً فأنهى إلى القرار الآتي: "يجري في الاستعمال المعاصر مثل قولهم: اللامعقولُ مذهب من مذاهب الأدب، و: كان عملاً لا أخلاقياً و: تصرف لا شعورياً. ويجوز في هذه الأمثلة ومايشبهها أحد وجهين:

أ - اعتبار لا النافية غير عاملة على أن يُعرب ما بعدها بحسب موقعه مما قبلها.
 ب - اعتبار لا مركبة مع ما بعدها، ويعرب المركب بحسب موقعه في الجملة^(٢).
 ويبدو لي أن هذا القرار تجاهل الفرق في الاستعمال والدلالة بين الأمثلة المذكورة وماشابهها، لأن "لا" صارت هي وما بعدها - في معظمها إن لم يكن فيها كلها - بمنزلة الكلمة الواحدة كالمركب المزجي، مما أجاز دخول "أل" عليها وخاصة في الاستعمال الاسمي. ولعل هذا ما عناه سيبويه بقوله: "واعلم أن "لا" قد تكون في بعض المواضع بمنزلة اسم واحد هي والمضاف إليه ليس معه شيء، وذلك نحو قولك: أخذته بلا ذنب، وأخذته بلا شيء، وغضبت من لاشيء، وذهبت بلا عتاد"^(٣). فإذا جاز عدّ "لا" غير عاملة في بعض الأمثلة، وهو - فيما أرى - وجه ضعيف؛ لأنه يخالف المعنى والصناعة النحوية معاً، فكيف يجوز ذلك فيما دخلت عليه "أل"؟ إنَّ الأخذ بالوجه الأول في قرار المجمع ضعيف من ثلاثة وجوه: أولها مخالفته المعنى؛ ففي إعراب قولهم: (اللامعقول مذهبٌ أدبي) لايجوز أن يكون لفظ (معقول) وحده هو المبتدأ لأنه ليس المراد؛ وقل مثل هذا في قولهم في صفة المولى جل شأنه "هو الأول بلا بداية والآخر بلا

(١) مغني اللبيب ١/ ٢٧٠ .

(٢) العربية الفصحى لـ ستيكفيتش ، ص ١٢٦ .

(٣) سيبويه ٢/ ٣٠٢ .

نهاية"؛ وثانيها أن "أل" تبقى بدون إعراب؛ وثالثها: أن العربية لا تميز الفصل بين "أل" وما تدخل عليه البتة^(١). صحيح أن "لا" في هذه الأمثلة تكون بمعنى "غير" ولكن الفارق بين الاستعمالين هو أن "غير" ومابعدا تركيب إضافي مؤلف من اسمين مستقلين هما المضاف والمضاف إليه في حين أن "لا" وحدها لا تقوم مقام المضاف، لأنها لا تخرج عن أن تكون هي ومابعدا ضرباً من المركب المزجي الذي يُعرب بحسب موقعه في الكلام. فإن قيل: فكيف يجوز إعطاء "لا" ومابعدا حكماً إعرابياً واحداً؟ قلت: إن قواعد النحو لا تمنع ذلك، فقد أجاز النحاة في "إلا" إذا لم تكن للاستثناء أن تكون هي وما بعدها صفة لما تقدمها واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء ٢٢/٢١) وبشواهد من الشعر الفصيح^(٢).

وقد أدرك بعض الباحثين المعاصرين الطابع المميز لهذا النمط، فبينوا أن الاستعمال العصري يحمل - لا محالة - إرادة اعتبار "لا" مركبة مع مابعدا لا مستقلة عنه، فهي نازلة منه منزلة بعض حروف الكلمة من بعض، ولكنهم ظنوا أن هذا المركب مخالف لكل أنواع المركبات المعروفة بالمركب المنفي^(٣)، وإن كان يظل - فيما أزعج - نمطاً من أنماط المركب المزجي. وأياً كان الرأي في تسمية هذا النمط أو في تعريفه أو في إعرابه؛ فمن الواضح أن العربية عرفتة قديماً واستعملته، وأن العربية المعاصرة اتسعت - بتأثير اللغات الأجنبية - في استعماله حتى غدا فيها أسلوباً حيويّاً فعلاً في توليد الألفاظ يضاف إلى الأساليب الأخرى كالاشتقاق والقياس والمجاز والتعريب والنحت وسواها.

(١) انظر الأوجه المختلفة في ماهية "أل" وإعرابها في مغني اللبيب ٤٩/١-٥٥.

(٢) مغني اللبيب ٧٤/١-٧٦.

(٣) نُقل هذا الرأي عن تمام حسان في العربية الفصحى لستنكيفتش ص ١٢٦.

ثبت المراجع

أولاً: بالعربية

- ١ - آراء وأحاديث في اللغة والأدب/ ساطع الحصري .. بيروت [دن]، ١٩٥٨ م.
- ٢ - الأصوات اللغوية/ إبراهيم أنيس .. ط ٥ .. القاهرة [دن]، ١٩٧٥ م.
- ٣ - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن/ أبوالبقاء بن عبد الله العكبري .. بيروت، ١٣٢١ هـ (مصورة عن نسخة المطبعة الميمنية بالقاهرة).
- ٤ - دراسات في فقه اللغة/ صبحي الصالح .. ط ٣ .. بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٥ - العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب/ يوهان فك؛ ترجمة رمضان عبد التواب .. القاهرة، ١٩٨٠ م.
- ٦ - العربية الفصحى الحديثة/ ج. سثكيفتش؛ ترجمة محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ٧ - العربية الفصحى: نحو بناء لغوي جديد/ ه. فليش؛ ترجمة عبد الصبور شاهين .. بيروت، ١٩٦٦ م.
- ٨ - علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات/ كمال بشر .. ط ٤ .. القاهرة، ١٩٧٥ م.
- ٩ - الكتاب/ سيبويه؛ تحقيق عبدالسلام هارون .. القاهرة، ١٩٦٦-١٩٧٧ م (مج ١-٥).
- ١٠ - لسان العرب/ ابن منظور .. بيروت، [د.ت].
- ١١ - اللغة العربية كائن حي/ جرجي زيدان؛ مراجعة مراد كامل .. القاهرة، [د.ت].

١٢- المصطلحات العلمية في التراث العربي/ عبدالله الجبوري، مجلة آداب المستنصرية، ع ٤، (١٩٧٦م) .. ص ١-٣٨.

١٣- المصطلحات العلمية في اللغة العربية/ مصطفى الشهابي .. ط ٢ .. دمشق، ١٩٦٥م.

١٤- معجم علم اللغة النظري/ محمد علي الخولي .. بيروت، ١٩٨٢م.

١٥- مغني اللبيب/ ابن هشام؛ تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله .. دمشق، ١٩٦٤م.

ثانياً: بالإنجليزية:

- 1- Allerton, D. A & French, M. A: Morphology: The forms of English. In: Bolton, W. F. (ed): The English language, Vol. 10, london 1975.
- 2- Cannon. G. : Blends in english word formation. In: linguistics, 24 (1986), pp. 725-753
- 3- Crystal, D. : The Cambridge Encyclopedia of language, Cambridge 1987
- 4- Emery, P. G. : Compound Words in Modern Standard Arabic> In: Linguistics, 24 (1986), pp. 32-44
- 5- Wehr, H. : Die Besonderheiten des havtigen Hocharabischern, Berlin, 1934